

السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَام

خطاب العقيلة زينب عَلَيْهَا السَّلَام في الكوفة

حملت عقائل النبوة وحرائر الوحي سبايا إلى الكوفة ومعهن الأيتام، وقد ربطوا بالحبال، وحملوا على جمال بغير وطاء، وقد عزفت أبواق الجيش، وخافت راياتهم، وكان منظر رهيباً تهلك منه القلوب، وحينما رأت حفيدة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زينب عَلَيْهَا السَّلَام الجموع الظاهرة التي ملأت الشوارع والأزقة، وقد أحاطت بها اندفعت إلى الخطابة لبلورة الرأي العام، وإظهار المصيبة الكبرى التي داهمت العالم الإسلامي بقتل ريحانة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحميل الكوفيّين مسؤولية هذه الجريمة الذكرا، فهم الذين نقضوا ما عاهدوا الله عليه من نصرة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام والذبّ عنه، ولكنّهم خسروا ذلك وقتلوه ثم راحوا ينوحون ويبيكون، كأنهم لم يقترفوا هذا الإثم العظيم، وهذا نص خطابها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى جَدِّي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ。 أَمَّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخَتْلِ وَالْغَدْرِ، أَتَبْكُونَ؟ فَلَا رَقَاتِ الدَّمْعَةِ، وَلَا هَدَاتِ الرَّنَّةِ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْتِي نَقَضَتْ غَرْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ。 أَلَا وَهُلْ فِيْكُمْ إِلَّا الصَّلَافُ وَالنَّطَافُ، وَالصَّدَرُ الشَّنِيفُ، وَمَلَقُ الْإِمَاءِ، وَغَمْرُ الْأَعْدَاءِ؛ أَوْ كَمْرَعَى عَلَى دِمْنَةِ، أَوْ كَفِضَّةَ عَلَى مَلْحُودَةِ، أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَفِي الْعَذَابِ أَنْتُمْ خَالِدُونَ。 أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحِبُونَ؟ إِيْ وَاللَّهِ فَابْكُوا كَثِيرًا، وَاضْحِكُوا قَلِيلًا، فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا، وَلَنْ تَرْحَضُوهَا بِغَسْلٍ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَأَنِّي تَرْحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ خَاتَمِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلَادِ خَيْرِكُمْ، وَمَفْزَعِ نَارِكُمْ، وَمَنَارِ حُجَّتِكُمْ، وَمَدْرَةِ سُنْتِكُمْ。 أَلَا سَاءَ مَا تَرْزُونَ، وَبَعْدًا لَكُمْ وَسُحْقاً، فَلَقَدْ خَابَ السَّعْيُ، وَتَبَتِّ الْأَيْدِيُ، وَخَسِرَتِ الصَّفَقَةُ، وَبُؤْثِمْ بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمُ الدَّلَلُ وَالْمَسْكَنَةُ。 وَيَلْكُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، أَتَدْرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ فَرِيَثَمْ؟ وَأَيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبْرِرَتْمِ؟ وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكْتُمْ؟ وَأَيَّ حُرْمَةٍ لَهُ انتَهَكْتُمْ؟ لَقَدْ جَثَثْمُ بِهَا صَلَاعَةَ عَنْقَاءَ سَوْدَاءَ فَقَمَاءَ (وَيُقَاتَلُ بِالْمِرْصادِ).

لقد قرعتهم عقيلة الرسول بخطابها البليغ، وعرفتهم زيف إسلامهم، وكذب دموعهم، وأنّهم من أحقّ المجرمين، فقد اقترفوا أفظع جريمة وقعت في الأرض، فقد قتلوا المنقذ والمحرّر الذي أراد لهم الخير، وفروا بقتله كبد رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتهكوا حرمته، وسبوا عياله، فأي جريمة أبشع من هذه الجريمة.

واضطرب أهل الكوفة من خطاب سليلة النبوة، ووصف حذيم الأستدي مدى الأثر البالغ الذي أحدثه العقيلة عليهما السلام في خطابها يقول: لم أر والله خفراً أنطق منها، كأنما تفرغ عن لسان الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام، ورأيت الناس بعد خطابها حيari، واصعى أيديهم على أفواههم، ورأيت شيخاً قد دنا منها يبكي حتى اخضبت لحيته وهو يقول: بأبي أنت وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبداً.

ورأى الإمام زين العابدين عليهما السلام الوضع الراهن لا يساعد على استمرارها في الخطاب، فقطع عليها خطبها قائلاً: (اسكتي يا عمة فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة).

في مجلس ابن زياد

وأدخلت عقائل الوحي ومخدرات النبوة وهن في ذل الأسر، قد شهرت على رؤوسهن سيف الكافر ابن مرجانة سليل الأرجاس والخيانة، وهو في قصر الإمارة وقد امتلا القصر بالسفك المجرمين من جنوده، وهم يهنتونه بالظفر، ويحدثونه بجرائمهم التي اقترفوها يوم الطف وهو جذلان مسروريهز أعطاوه فرحاً وسروراً، وبين يديه رأس زعيم الأمة وريحانة رسول الله عليهما السلام فجعل الخبيث يعبث بالرأس الشريف، وينكته بمخرصته، وهو يقول متشمتاً: ما رأيت مثل هذا الوجه قط.

ولما روى المجرم الخبيث ابن مرجانة أحقاده من رأس ريحانة رسول الله عليهما السلام التفت إلى عائلة الإمام الحسين عليهما السلام فرأى سيدة منحازة في ناحية من مجلسه، وعليها أرذل الثياب وقد حفت بها المهابة والجلال، فانبىء ابن مرجانة سائلاً عنها، فقال:

من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساوها؟

فأعرضت عنه احتقاراً واستهانة به، وكرر السؤال فلم تجبه فانبأهت إحدى السيدات فأجابته: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام.

فالتابع للخبيث الدنس من احتقارها له، واندفع يظهر الشماتة قائلاً: الحمد لله الذي فضحك وقتلوكم، وأبطل أحدوثتكم.

فثارت حفيدة الرسول عليهما السلام وأجابت بشجاعة أبيها محتقرة له قائلة: (الحمد لله الذي أكرمنا ببنيه، وطهّرنا من الرجل تطهيراً، إنما يفتح الفاسق ويكتب الفاجر، وهو غيرنا يا بن مرجانة). ولم يجد ابن مرجانة كلاماً يجيب به سوى التشفي قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ فأجابته حفيدة الرسول، ومفجرة الإسلام بكلمات الظفر والنصر لها ولأخيها قائلة: (ما رأيت إلا جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج

وَثَخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ يَوْمَئِنْ، ثَكَلْتَ كَأْمُكَ يَا بْنَ مَرْجَائَةَ..).
وفقد الحقير الدنس إهابه من هذا التبكيت، والاحتقار اللاذع، فهمّ أن يضرب العقيقة فنهاه عمرو بن حريث وقال له: إنّها امرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها. فالتفت إليها مظهراً لها التشفي بقتل أخيها قائلاً: لَقَدْ شَفِيَ اللَّهُ قَلْبِي مِنْ طَاغِيَتِكَ وَالْعَصَاهَةِ الْمَرْدَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ.
وغلب الأسى والحزن على العقيقة من هذا التشفي الآثم، وتذكرت حماتها الصفوية من الأسرة النبوية، فأدركتها لوعة الأسى، وقالت: (لَعْمَرِي لَقَدْ قَتَلْتَ كَهْلِي، وَقَطَعْتَ فَرْعَاهِي، وَاجْتَثَثْتَ أَصْلِي، فَإِنْ كَانَ هَذَا شِفَاوُكَ فَقَدْ اشْتَفَيْتُ).

وتهافت غيظ ابن مرجانة، وراح يقول: هذه سجّاعة، لعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.
فردّت عليه العقيقة: (إِنَّ لِي عَنِ السَّجَاجِةِ لَشَغَلًا، مَا لِلْمَرْأَةِ وَالسَّجَاجِةِ).
وأدّار ابن مرجانة بصره في بقية الأسرى من أهل البيت فوقع بصره على الإمام زين العابدين، وقد أنهكته العلة فسألـه: من أنت؟

فأجاب عليه السلام: عليّ بن الحسين...

فصاح به الرجس الخبيث: أو لم يقتل الله علي بن الحسين.
فأجابه الإمام بإثنا عشر: (قدْ كَانَ لِي أَخُ يُسَمَّى عَلَيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ قَتْلُتُمُوهُ، وَإِنَّ لَهُ مِنْكُمْ مَطَالِبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ..).

فثار ابن مرجانة، ورفع صوته قائلاً: الله قتلـه.
فأجابه الإمام بكل شجاعة وثبتـاتـ: (الله يَتَوَفَّ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ)..

ودارت الأرض ببابـنـ مرجانـةـ ولمـ يـعـرـفـ ماـ يـقـولـ، وـغـاظـهـ أـنـ يـتـكـلـمـ هـذـاـ الغـلامـ الأـسـيرـ بـقوـةـ الـحجـةـ، وـالـاستـشـهـادـ بـالـقرـآنـ الـكـرـيمـ، فـرـفعـ رـأسـهـ قـائـلاـ: وـبـكـ جـرأـةـ عـلـىـ ردـ جـوابـيـ!! وـفـيـكـ بـقـيـةـ لـلـرـدـ عـلـيـ..)ـ
وـالـتـفـتـ إـلـىـ بـعـضـ جـلـادـيـهـ فـقـالـ لـهـ: خـذـ هـذـاـ الغـلامـ وـاضـرـبـ عـنـقـهـ.
وطـاشـتـ أحـلـامـ العـقـيقـةـ وـانـبـرـتـ بـشـجـاعـةـ لـاـ يـرـهـبـهاـ سـلـطـانـ، فـاحـتـضـنـتـ اـبـنـ أـخـيهـ، وـقـالـتـ لـابـنـ مرـجانـةـ:
(حـسـبـكـ يـاـ بـنـ زـيـادـ مـاـ سـفـكـتـ مـنـ دـمـائـنـاـ، إـنـكـ لـمـ تـبـقـ مـنـ أـحـدـاـ، فـإـنـ كـنـتـ عـزـمـتـ عـلـىـ قـتـلـهـ فـاقـتـلـنـيـ معـهـ..).

وبـهـرـ الطـاغـيـةـ وـانـخـذـلـ، وـقـالـ مـتـعـجـبـاـ: دـعـوهـ لـهـ، عـجـباـ لـلـرـحـمـ وـدـتـ أـنـ تـقـتـلـ معـهـ.

ولولا موقف العقيلة لذهبت البقية من نسل أخيها التي هي مصدر الخير الفضيلة في دنيا العرب والإسلام. أنجا الله زين العابدين من القتل المحتم ببركة العقيلة فهي التي أنقذته من هذه الطاغية الجبار. وأمر ابن مرجانة بحبس مخدرات الرسالة وعقال الولي، فادخلن في سجن يقع إلى جانب المسجد الأعظم، وقد ضيق عليهم أشد التضييق، فكان يجري على كل واحدة في اليوم رغيفاً واحداً من الخبر، وكانت العقيلة تؤثر أطفال أخيها برغيفها وتبقى ممسكة حتى بان عليها الضعف، فلم تتمكن من النهوض وكانت تصلي من جلوس، وفزع الإمام زين العابدين عليهما السلام من حالتها فأخبرته بالأمر. ورفضت عقيلة بنى هاشم مقابلة آية امرأة من الكوفيات وقالت: (لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا إِلَّا أُمٌّ وَلَدٌ أَوْ مَمْلُوكَةً فَإِنَّهُنَّ سُبِّينَ كَمَا سُبِّينَا).

والقى على بناة رسول الله ﷺ حجر قد ربط فيه كتاب جاء فيه: إن البريد قد سار بأمركم إلى يزيد فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالهلاك، وإن لم تسمعوا بالتكبير فهو الأمان، وحددوا لجيء الكتاب وقتاً وفزعت العلويات وذعرن، وقبل قدوم البريد بيومين ألقى عليهم حجر آخر فيه كتاب جاء فيه: أوصوا واعهدوا فقد قارب وصول البريد، وبعد انتهاء المدة جاء أمر يزيد بحمل الأسرى إلى دمشق. وبقيت العائلة النبوية في السجن، فلما جاءت أوامر يزيد بحملهم إلى دمشق لتعرض على أهل الشام، كما عرضت على أهل الكوفة، فقد حملت السبايا، وأماماً رؤوس العترة الطاهرة الذين أرادوا أن يقيموا في هذا الشرق حكومة الإسلام والقرآن فقد حملت ليراها أهل الشام ويتلذذ بمنظرها يزيد.

سبايا آل النبي في دمشق

وعانت عقال الولي ومخدرات النبوة والإمامية جميع ضروب المحن والبلاء أيام مكثهن في الكوفة، فقد عانين مرارة السجن وشماتة الأعداء، وذلّ الأسر، وبعد ما صدرت الأوامر من دمشق بحملهم إلى يزيد أمر ابن مرجانة بتسيير رؤوس أبناء النبي ﷺ وأصحابهم إلى الشام لتعرض على الشاميّين، كما عرضت على الكوفيّين حتى تمتلاً قلوب الناس فرعاً وخوفاً وظهور مقدرة الامويّين، وغلبتهم على آل الرسول.

وسارت قافلة الأسرى لا تلوى على شيء حتى انتهت إلى القرب من دمشق، فاقيمت هناك حتى تتزينّ البلد بمظهر الزهو والأفراح، ومن الجدير بالذكر أنّ مخدرات النبوة وبباقي الأسرى قد التزموا جانب الصمت فلم يطلبوا أي شيء من أولئك الأندال الموكلين بهم، وذلك لعلم العلويات بعدم الاستجابة لأي شيء من مطالبهم.

السبايا في مجلس يزيد

وعلم الأنذال من جلاوزة الخبيث ابن الخبيث يزيد بن معاوية إلى عقائل الولي وسائر الصبية فريقهم بالحبال كما تربق الأغنام، فكان الحبل في عنق الإمام زين العابدين إلى عنق العقيلة زين وبقي بنات رسول الله ﷺ، وكانوا كلّما قصرّوا عن المشي أوسعوهم ضرباً بالسياط، وجاءوا بهم على مثل هذه الحالة التي تتصدّع من هولها الجبال، وهم يكبّرون ويهلّلون بسببهم لبنات رسول الله وإبادتهم لعترتهم. وأوقفت مخدرات الرسالة بين يدي يزيد.

أظهر الطاغية الآثم فرحته الكبرى بإبادته لعترة رسول الله ﷺ فقد صفا له الملك، واستوسقت له الأمور، وأخذ يهزّ أعطافه جذلناً متمنياً حضور القتلى من أهل بيته ببدري لهم كيف أخذ بثارهم من النبي ﷺ في ذرّيته، وراح يتربّم بأبيات ابن الزيعري قائلاً أمّا أمّا بصوت يسمعه الجميع:

جَرَعَ الْخَرْجَ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ	لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهَدُو
ثُمَّ قَالُوا: يَا يَزِيدُ لَا تُشَلْ	فَأَهَلُوا وَاسْتَهَلُوا فَرَحًا
إِتَّهُمْ وَعَدَلَنَاهُ بِبَدْرٍ فَاعْتَدَلْ	قَدْ قَتَلْنَا الْقَوْمَ مِنْ سَادَ
فَلَا خَبْرُ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلْ	لَعِبَتْ هَاشِمُ بِالْمُلْكِ
لَسْتُ مِنْ خَنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَ قِمْ	مِنْ بَنِي أَحْمَدَ مَا كَانَ فَعَلْ

ولما سمعت العقيلة هذه الأبيات التي أظهر فيها التشفي بقتل عترة رسول الله ﷺ انتقاماً منهم لقتلى بدر، وثبت كالأسد، فسحقت جبروته وطغيانه فكانها هي الحاكمة والمنتصرة والطاغية هو المخنول والمغلوب على أمره، وقد خطبت هذه الخطبة التي هي من متممات النهضة الحسينية، قالت عليهما السلام: (الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ، صَدَقَ اللّهُ كَذَلِكَ يَقُولُ: (ثمَّ كانَ عاقبةَ الَّذِينَ أَسَأُوا السُّوءَ أَنْ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)، أَظَنَّتْ - يَا يَزِيدُ - حَيْثُ أَخَذَتْ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَآفَاقَ السَّمَاءِ فَأَصْبَحْنَا ثُسَاقُ كَمَا ثُسَاقُ الْإِمَاءِ - أَنَّ بَنَاءَ عَلَى اللّهِ هَوَانًا، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرَامَةٌ!! وَأَنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ!! فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ فِي عَطْفِكَ، جَذْلَانَ مَسْرُورًا، حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً، وَالْأُمُورَ مُتَسِّقَةً، وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا وَسُلْطَانَنَا، فَمَهَلاً، أَنْسِيَتْ قَوْلَ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مَهِينٌ). أَمِنَ الْعَدْلِ يَا بْنَ الْطُّلَقاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَإِمَاءَكَ وَسُوقَكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللّهِ سَبَابِيَا؟! قَدْ هَتَكْتَ سُتُورَهُنَّ، وَأَبْدَيْتَ وُجُوهَهُنَّ، تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَازِلِ

وَالْمَنَاهِلِ، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهُهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، وَالدَّنِيُّ وَالشَّرِيفُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلَيُّ، وَلَا مِنْ حَمَاتِهِنَّ حَمِيُّ.

وَكَيْفَ تُرْتَجِي مُرَاقِبَةً مَنْ لَفَظَ فُوهَ أَكْبَادَ الْأَزْكِيَاءِ، وَبَتَّ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ؟! وَكَيْفَ لَا يَسْتَطِعُ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالشَّنَفِ وَالشَّنَانِ وَالإِحْنِ وَالْأَضْغَانِ؟! ثُمَّ تَقُولُ غَيْرُ مُتَأْثِمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ: لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا: يَا يَزِيدُ لَا تُشَلْ

مُنْتَهِيَا عَلَى شَنَائِيَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكِثُهَا بِمُخْصَرَتِكَ. وَكَيْفَ لَا تَقُولُ ذَلِكَ، وَقَدْ نَكَّاتَ الْقَرْحَةَ، وَاسْتَأْصَلَتَ الشَّافَةَ، بِإِرَاقَتِكَ دِمَاءَ دُرَيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنُجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! وَتَهْتِفُ بِأَشْيَاخِكَ، رَعَمْتَ أَنَّكَ ثَادِيَهُمْ! فَلَتَرِدَنَّ وَشِيكَا مَوْرِدَهُمْ، وَلَتَوَدَّنَّ أَنَّكَ شُلِّتَ وَبِكُمْتَ وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ.

أَللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا، وَانْتَقِمْ مِمْنَ ظَلَمَنَا، وَاحْلُلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا وَقَتَلَ حُمَاتَنَا. فَوَاللَّهِ مَا فَرِيتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا حَرَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ، وَلَتَرِدَنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَحْمَلْتَ مِنْ سَفَكِ دِمَاءِ دُرَيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عِثْرَتِهِ وَلَحْمَتِهِ، وَحَيْثُ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمَلَهُمْ وَيَلْمُ شَعْنَهُمْ وَيَاخُذْ بِحَقِّهِمْ (وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءَ عِنْدِ رِبِّهِمْ يَرْزَقُونَ). وَحَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِمًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَصِيمًا، وَجَرِئِيلَ ظَهِيرًا، وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوَّلَ لَكَ وَمَكَنَّكَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ، بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا وَأَيُّكُمْ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا. وَلَئِنْ جَرَتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِيَّ مُخَاطِبَتِكَ، إِنِّي لَا سَتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأَسْتَكِثُرُ تَوْبِيَخَكَ، لَكِنَّ الْعَيْوُنُ عَبْرَى، وَالصُّدُورُ حَرَى. أَلَا فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ اللَّهِ التُّجَبَاءِ بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الظُّلْمَاءِ، فَهَذِهِ الْأَيْدِي تَنْطِفُ مِنْ دِمَائِنَا، وَالْأَفْوَاهُ تَتَحَلَّبُ مِنْ لُحُومِنَا، وَتَلِكَ الْجُثُثُ الطَّوَاهِرُ الزَّوَاكِيَّ تَتَبَاهَا الْعَوَاسِلُ. وَتَعْفِرُهَا أُمَّهَاتُ الْفَرَاعِلُ، وَلَئِنْ اتَّخَذْنَا مَغْنِمًا لَتَجِدُنَا وَشِيكًا مُغْرِمًا، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ يَدَكَ، وَمَا رِبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، فَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكِيَّ، وَعَلَيْهِ الْمُعْوَلُ. فَكِدْ كِيدَكَ، وَاسْعَ سَعِيَكَ، وَنَاصِبْ جَهَدَكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمْحُونَ ذِكْرَنَا، وَلَا تُمْيِتُ وَحْيَنَا، وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا، وَلَا تَرْحَضُ عَنْكَ عَارَهَا. وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَنَدَا، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَداً، وَجَمِيعُكَ إِلَبَدَداً، يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَتَمَ لَأَوْلَانَا بِالسَّعَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَلَا خِرَنَا بِالشَّهَادَةِ وَالرَّحْمَةِ. وَنَسَأَنُ اللَّهَ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الثَّوَابَ، وَيُوْجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ، وَيُحِسِّنَ عَلَيْنَا الْخِلَافَةَ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَحَسَنَ بُنَانُ اللَّهِ وَنَعْمَ الْوَكِيلِ.

ولم يستطع الطاغية الجواب على خطاب العقيلة، فقد انهار كبرياوه وغروره وتمثل ببيت من الشعر وهو:

يَا صَيْحَةً تُحْمِدُ مِنْ صَوَّابٍ
مَا أَهْوَنَ الْمَوْتَ عَلَى النَّوَّابِ
وقلب الأجواء السياسية على الطاغية، وحار في أمره فقد فضحته العقيلة بخطابها الحالى، وجردته
من السلطة الشرعية، وأخذت الأوساط الشعبية في دمشق تتحدى وتنتقم عليه جريمته النكراء بإبادته
لعترة رسول الله ﷺ.

العقيلة مع الشامي ويزيد

ونظر شخص من أهل الشام إلى السيدة الزكية فاطمة بنت الإمام الحسين فقال ليزيد: هب لي هذه الجارية لتكون خادمة عندي.

وقد ظنَّ أنها من الخوارج فيحق له أن تكون خادمة عنده، ولما سمعت العلوية ذلك، سرت الرعدة بأوصالها، وأخذت بثياب عمّتها مستجيرة بها، فانبرت العقيلة وصاحت بالرجل: (كذبت ولؤمت، ما ذلك لك، ولا لأميرك..). واستشاط الطاغية غضباً من استهانة العقيلة به وتحديها لشأنه، فقال لها: كذبت، إن ذلك لي، ولو شئت لفعلت. فنهرته العقيلة ووجهت له سهاماً من منطقها الفياض قائلة: (كلاً والله ما جعل لك ذلك، إلاّ أن تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا..) وقد الطاغية مهابته، فقد أهانته أمام الطغمة من أهل الشام فصاح بالحوراء: إيه اي تستقبلين بهذا، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

ولم تحفل العقيقة بسلطانه ولا بقدرته على البطش والانتقام، فرددت عليه بشقة: (بدين الله ودين أبي وجدي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً..).

وأزاحت العقيلة بهذا الكلام الذي هو أشدّ من الصاعقة الستار الذي تستر به الطاغية من أن الإمام الحسين وأهل بيته من الخوارج، فقد استبان لأهل الشام أنّهم ذرية رسول الله، وأنّ يزيداً كاذب بادعائه. وصاح الرّجس الخبيث بالعقيلة: كذبت يا عدوة الله.

ولم تجد العقيلة جواباً تحسم به مهارات الطاغية، غير أن قالت: (أنت أمير مسلط، تشتم ظلماً، وتقهر سلطانك...).

وتهافت غضب الطاغية وأطرق برأسه إلى الأرض، فأعاد الشامي كلامه إلى يزيد طالباً منه أن تكون بنت رسول الله ﷺ خادمة عنده فصالح به يزيد: وهب الله لـك حتفاً قاضياً. لقد احتفظت عقيلة الولي بقوتها الذاتية، وإرادتها الواعية الصلبة التي ورثتها من جدهما الرسول ﷺ، فقابلت الطاغية بهذا الكلام المشرف الذي حقّقت به أعظم الانتصار.